

الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني

د.سعد بوفلاقة

كلية الآداب، جامعة عنابة

ملخص :

اهتم المفكرون العرب في القرن الماضي بالاستشراق والمستشرقين، فظهر لكثير من المفكرين والباحثين العرب دراسات متعددة ومختلفة عنهم تراوحت بين المدح والذم، رأى بعضهم أنَّ الاستشراق كان حركة شريرة لم تقدم لتاريخنا العربي، ومقدساتنا أية خدمة أو نفع، ورأى آخرون أنَّ الاستشراق حركة كان لها من الأهداف المعادية للعروبة والإسلام، ولكنه يظلُّ مساهمة لا يمكن تجاهل أهميتها أو التَّغاضِ عَمَّا كان لها من مردود واضح الأثر في إغناء الدراسات العربية والإسلامية في مختلف حقولها وآفاقها « واتَّهم من أنصف المستشرقين، ومن تجنَّى عليهم هو أيضا متَّهم »⁽¹⁾، وتظلُّ ظاهرة الاستشراق موضع جدل وبحث، وهذا ما يدعونا إلى القول بأنَّ الاستشراق لم ينل حظه من البحث العلمي المتجرد، وأن الكثير من الدراسات في هذا الموضوع ما تزال بحاجة إلى إعادة

(1) علي إبراهيم النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية...، ص : 9، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1414 هـ/1993 م.

النظر، وخاصة ونحن على أعتاب العولمة (العالمية) التي يجب التعامل معها « كظاهرة لا مفر من الإقرار بوجودها، ولكن من الضرورة الاهتمام بها ومحاولة الاستفادة من جوانبها الإيجابية، والتحفيز على جوانبها السلبية.. أي : نستطيع إعداد خطة علمية للاستفادة من العولمة العالمية ومواجهة العولمة الأمريكية »⁽¹⁾.

لكل هذه الأسباب برزت عندي فكرة الكتابة عن « الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني ».

وسيحاول هذا البحث انطلاقاً من هذه الأفكار أن يقدم عينات من أعمال المستشرقين (المنصفون منهم والمتعصبون)، وفقاً للخطوات المنهجية الآتية :

تمهيد

مدلولات كلمتي الاستشراق والمستشرقين

- 1- مدلولات كلمة استشرق
- 2- مدلولات كلمة مستشرق
- 3- تاريخ الاستشراق
- 4- دوافع وأهداف الاستشراق والمستشرقين
- 5- مجالات الاستشراق ووسائله
- 6- منهج المستشرقين في دراساتهم
- 7- الاستشراق والمستشرقون : عينات من آثارهم وأعمالهم
- أ- المنصفون ب- المتعصبون
- 8- فذلكة

(1) انظر د.عبد النبي أصطيف : حوار الحضارات في عصر العولمة في كتاب محاضرات في حوار الحضارات، ص : 323 وما بعدها، نشر المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ط2، 1421 هـ/2001 م.

ملهيّد :

كثرت الدراسات الاستشراقية في القرن الماضي، فظهر لكثير من المفكرين العرب والمسلمين دراسات وكتابات متعددة ومختلفة، ولكن أكثرها دراسات فردية بحتة لم يجمع الرأي فيها في مؤتمر علمي منظم لنعرف صائب الآراء وأثر الاستشراق ونفعه وضرره⁽¹⁾. وظل مفهوم الاستشراق غير واضح المعالم لديهم، فمنهم من ينظر إليه نظرة إعجاب تصل أحيانا إلى الانبهار، ومنهم من يرفض كل ما يأتي عن هذا المفهوم حتى ولو اصطبغ بصبغة علمية، والآخر المتأمل فلم ينبهر ولم يرفض، وأخضع نتائج هذا المفهوم لأحكام علمية خالصة، وليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، وليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق، بحيث يستطيع الباحث أو المطلع في هذا المجال أن يحدّد تاريخا بعينه، ولم تكن لمفهوم الاستشراق دوافع واضحة متميزة، فجاءت الدوافع في الأدبيات العربية متداخلة بعضها مع بعض، كما أنه لم يكن هناك وضوح في تحديد الأهداف، بل هناك خلط أحيانا بين الدوافع والأهداف⁽²⁾.

وسنحاول تحديد بعض هذه المفاهيم والمصطلحات التي نستعملها، لأنّ كثيرا من الالتباس المؤدي إلى الاختلاف ناتج عن الخلاف في دلالات المصطلح، وأنّ المسألة لا تنحصر في حدود فقه اللغة، بل تتجاوزها إلى أبعاد سياسية وثقافية وأيديولوجية⁽³⁾.
فما المقصود، إذن، بالاستشراق والمستشرقين ؟

(1) يوسف عز الدين : الاستشراق وبواعثه وماله وما عليه، مقال منشور في مجلة المشكاة المغربية، العدد: 29، 1419 هـ/1998 م، ص : 14.

(2) علي النملة : المرجع السابق، ص : 13 وما بعدها. وانظر مجلة الفيصل التي تصدر في المملكة العربية السعودية، العدد : 322 ربيع الآخر 1424 هـ/يونيو 2003 م، ص : 132.

(3) د.أحمد طالب الإبراهيمي : حوار الحضارات، مقال منشور في كتاب العربي « الإسلام والغرب »، ص : 115، يوليو 2002 م.

مدلولات كلمتي الاستشراق والمستشرقين :

1- مدلولات كلمة استشراق :

الاستشراق هو : « مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة »⁽¹⁾. ويذهبُ عمر فروخ إلى أنَّ الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم وآدابهم وعلومهم وعاداتهم ومعتقداتهم وأساطيرهم⁽²⁾. كما حاول تعريفه : إدوارد سعيد⁽³⁾، ومالك بن نبي⁽⁴⁾، وأحمد الزيات⁽⁵⁾، ومحمد حسين الصغير⁽⁶⁾، ومحمد عبد الغني حسن⁽⁷⁾، ومحمود زقزوق⁽⁸⁾، وسواهم.

(1) عدنان محمد وزان : الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر (سلسلة دعوة الحق (24)، مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي، 1404 هـ/1984م، ص : 15.

(2) انظر : عمر فَرَّوخ : « الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة » في كتاب : الإسلام والمستشرقون، تأليف نخبة من العلماء المسلمين، جدة، دار المعرفة، 1405 هـ/1985 م. وانظر أيضا: عبد الرحمن حسن جببكة الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص : 5. اقتبسه : محمد البشير مغلي في كتابه : مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ص : 41 ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، 1422 هـ/2002 م..

(3) إدوارد سعيد: الاستشراق (تعريب كمال أبي ديب)، ص: 101، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1984 م.
(4) مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص: 50، دار الإرشاد، بيروت، 1388هـ/1969م.

(5) أحمد سما يلوفتش : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص : 21-38، دار المعارف، القاهرة، 1980 م.

(6) محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية، ص : 11-13، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1406 هـ/1986 م.

(7) محمد عبد الغني حسن: عبد الله فكري (سلسلة أعلام العرب)، ص:89، الدار المصرية للطباعة، القاهرة (د.ت).

(8) محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص:17-18، الدوحة، قطر، 1404 هـ.

أمّا المدلول اللغوي : فيقرب من هذا التعريف أيضا، فكلمة « الاستشراق » مشتقة من الشرق، وبالتدقيق الشرق العربي الإسلامي، ويعرفه القاموس الفرنسي « بأنه مجموعة المعارف التي تتعلق بالشعوب الشرقية ولغاتهم وتاريخهم وحضارتهم، وفي المجاز يعني عندهم تذوق أشياء الشرق »⁽¹⁾.

2- مدلولات كلمة مستشرق :

أ- إن معنى كلمة « مستشرق » صار شرقيا، وقد أُطلقت هذه اللفظة على كل عالم غربي يهوى إتقان لغة شرقية وتجرد إلى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والهندية والعربية. وتقصّى آدابها طلبا لمعرفة شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها أو علومها⁽²⁾...

ب- المستشرق شخص يتعاطى دراسة اللغات والحضارات الشرقية، أي : رسام متخصص في تصوير مناظر ونماذج اسغرابية⁽³⁾.

ج- الباحث في فرع من فروع المعرفة التي تتعلق من قريب أو من بعيد بهذا الشرق، يسمى مستشراقا⁽⁴⁾.

د- ويشترطُ بعضهم في المستشرق أن ينتمي إلى الغرب : « ولو كان هذا العالم يابانيا أو أندونيسيا أو هنديا لما استحق أن يوصف بالمستشرق لأنه شرقي بحكم

(1) (Loc, Cit) نقلا عن محمد البشير مغلي : مناهج البحث في الإسلاميات.. ص : 39. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1422 هـ/2002 م.

(2) عبد الوهاب حمودة: من زلات المستشرقين، ص : 27، اقتبسه محمد البشير مغلي: المرجع نفسه، ص: 26.

(3) D.E. Larousse, p 646 نقلا عن محمد البشير مغلي : المرجع نفسه، ص : 36. وقد استعنا به في معظم هذه التعريفات.

(4) السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص: 107. نقلا عن محمد البشير مغلي، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

مولده وبيئته وحضارته»⁽¹⁾.

هـ وإذا كانت كلمة المستشرق تحمل دلالة أكاديمية من وجهة نظر « الغرب » كما أشارت إليه بعض التعريفات السابقة فهي أيضا لا تخلو من تعميم على كل مَنْ يُعنى بدراسة حضارة العرب والمسلمين من « الشرقيين » الذين يصبح اللفظ « مستشرقاً » لديهم محل الشك والارتياب، ويصير مثيراً لأحاسيس مختلفة لها ما يسوّغها، كعدم اقتصاره على الشواغل العلمية المجردة، وانصرافه إلى قضايا ليس أقلها الاحتواء والأبعاد السياسية⁽²⁾. لأن المستشرق أو الاستشراق بشكل عام، كما يعرفه بعضهم، هو موقف عقلي كامن في طبيعة الغرب من حيث السيادة والتحكم، وهو أسلوب منهجي لإشباع النفوس بما يفترضون مسبقاً، بالتصور، أن الشرق لكي يصبح هذا الشرق شرقياً بالمعنى الذي يريدونه هم، فيستسلم لمطالبهم، وليس شرقاً بالمعنى الحقيقي الصحيح، كما هو واقعهم... إنه تصوّر يضمنون فيه كلّ ما لديهم من مخلفات لا تمت إلى الغرب بصلة، كما لو كان صندوقاً للقمامة، فكلّ ما ليس (نحن)، أي : غربي، فهو (هو)، أي : شرقي وتحت (نحن) تتدرج كل الفضائل، وتحت (هو) تتدرج كل الرذائل⁽³⁾.

3- تاريخ الاستشراق :

اختلفت الآراء حول بداية الاستشراق، فليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق، بحيث يستطيع الباحث في هذا المجال أن يحدّد تاريخاً بعينه، تكون فيه

(1) علي الخربوطلي : المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ص : 69. نقلاً عن محمد البشير مغلي : المرجع نفسه، ص : 37.

(2) محمد البشير مغلي : المرجع السابق، ص : 37.

(3) د.عبد الحليم عويس : مواجهة التحدي الاستشراقي من آفاق الدعوة الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري أعمال الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، الجزائر، شوال 1400 هـ/أغسطس، سبتمبر 1980 م. منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص : 231.

المنطلقات الأولى لاهتمام الاستشراق بعلوم الأمم الأخرى وثقافتها وعقائدها وآدابها وعاداتها وتقاليدها التي كانت تغطي « الشرق ». وقد تعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق إلى أحد عشر رأياً، بعضها يعطي تاريخاً بعينه، وبعضها الآخر يعطي حقبة أو عصراً من العصور التي مرّ بها الشرق أو العالم، والبعض الثالث لا يعطي زمناً، وإنما يعتمد على حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها، فجعلت هي البدايات⁽¹⁾ فبينما يعزو بعضهم نشأة الاستشراق إلى صدر الإسلام بسبب احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة وغزوة تبوك، ومن يومها وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية.

ويذهب فريق إلى أنّ الباعث على نشوئه هو الحروب الصليبية التي كانت نتيجة الاشتباك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين. وهناك من يرى أنّ فكرة الاستشراق يمكن أن تكون قد بدأت مع الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وبالأخص على إثر سقوط طليطلة عام 433 هـ/1085 م. والاستيلاء عليها من قبل النصارى⁽²⁾.

ورأى آخر ينظر إلى نشأة الاستشراق وارتباطها المباشر والجدي بفترة ما يسمونه بالإصلاح الديني في القرن السادس عشر الميلادي، وهو عصر بداية الهجوم على العالم العربي والإسلامي، فكان أول عالم غربي برز في العمل الاستشراقي هو المستشرق وليم باستيل (1510 هـ/1531 م) الذي كان مخلصاً للكنيسة كل الإخلاص⁽³⁾.

(1) علي النحلة : المرجع السابق، ص : 13-14. وانظر ص : 23 وما بعدها.

(2) السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص: 19-21. نقلاً عن محمد مغلي: المرجع السابق، ص 45.

(3) علي النحلة : المرجع السابق، ص : 232. والحقيقة أن هناك من برز في العمل الاستشراقي قبل باستيل، فقد نشأ الاستشراق على أيدي الرهبان الذين تتقفوا في الأندلس من أمثال « جربرت JERBERT »، الذي اعتلى منصب البابوية باسم سلفستر الثاني (999 - 1003) م، و « بطرس المحترم PIERRE LEVENE » (1092-1156 م)، و « جيرار دي كريمون GERARDDE CREMONE » (1114-1181 م)، وغيرهم...

أمّا الذين يحاولون تحديد نشأة الاستشراق تحديداً علمياً قائماً على حدث علمي، فيعودون بنشأة الاستشراق إلى سنة (712 هـ/1312 م) حينما عقد مؤتمر « فيينا » الكنسي ونادى بإنشاء كراسي في اللغات: العربية، والعبرية، واليونانية، والسريلية في الجامعات الأربع الرئيسة في أوروبا، وهي : باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وسلامنكا، ثم في جامعة خامسة في البلاط البابوي، وقد رأى هذا الرأي كثير من الذين كتبوا عن نشأة الاستشراق، أمثال : إدوارد سعيد⁽¹⁾، ونذير حمدان⁽²⁾، وزقزوق⁽³⁾، وعدنان وزان⁽⁴⁾، ونجيب العقيلي⁽⁵⁾، وغيرهم...

ويبدو أنّ هذا الرأي هو الأقرب إلى الصواب لأنه يعطي تاريخاً بعينه، وحادثة، علمية محددة بالزمان والمكان والنتائج، ولذا مال إليه كثير من الدارسين وأخذوا به، على اعتبار أنه أكثر « أكاديمية » من الآراء التي سبقته⁽⁶⁾.

4- دوافع وأهداف الاستشراق والمستشرقين :

إنّ دراسة قضية الدوافع والأهداف المبتغاة، من وراء أبحاث المستشرقين لا تتم كاملة بمعزل عن التبصر بالبنية الفكرية والتركيبية النفسية، التاريخية التي صمّت عن وعي أو دون وعي، فلسفة هذه الأهداف واتجاه هذه المرامي لدى هذا الغرب الذي يطلق عليه الآن أوروبا، المنصبه اهتماماتها على الشرق الإسلامي بالذات في تحليلها الاستشراقي⁽⁷⁾.

(1) إدوارد سعيد : الاستشراق، ص : 19.

(2) نذير حمدان: الرسول صلى الله عليه وسلم، في كتابات المستشرقين، ص: 34، دار المنارة، جدة، 1406 هـ.

(3) محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص : 19.

(4) عدنان محمد وزان: الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر، ص: 28 - 29، دار المنار، جدة، 1406 هـ.

(5) نجيب العقيلي : المستشرقون، ج1، ص : 122، دار المعارف، القاهرة، 1980 م.

(6) علي النملة : المرجع السابق، ص : 29.

(7) محمد مغلي : المرجع السابق، ص : 53. وانظر ما بعدها.

إنَّ للاستشراق دوافع وأسباب وأهدافا يأتي في قمتها الدافع الديني بألوانه المتعددة، ثم تأتي في الدرجة الثانية الدوافع السياسية والاستعمارية والاقتصادية والتجارية، ولعل الدوافع والأهداف السامية الوحيدة هي الأسباب العلمية النزيهة التي لم يخل الاستشراق منها بأيِّ حال، بل إنَّ هذا الدافع يزداد مع ضمور الدوافع الأخرى. ثم تأتي في المرتبة الثالثة البواعث النفسية والشخصية والخاصة والتاريخية والإيديولوجية غير الدينية كالمستشرقين الشيوعيين الذين تدفعهم أيديولوجيتهم إلى الاتجاه إلى الاستشراق⁽¹⁾.

5- مجالات الاستشراق ووسائله :

اتسعت مجالات الاستشراق، وأخذت تشهد انعقاد المؤتمرات الدولية، وقد احتضنت فرنسا أولها عام 1873 م. وصارت بذلك باريس عاصمة الاستشراق، وأخضع الاستشراق للإمبريالية والعرقية والماركسية وغيرها، غير أنه أصبح يملك منطلقات للبحث، وجمعيات علمية ومؤسسات خاصة، نمّت عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية عبر عدد من دول الغرب، ممّا أتاح مجالاً واسعاً لنشر الدراسات الأكاديمية⁽²⁾. وهذا الميدان من أبرز الميادين التي يعتمد عليها المستشرقون في الوصول إلى أغراضهم، لأنه الميدان الذي يستطيعون منه توجيه الباحثين وإخضاعهم للمنهج الاستشراقي، سواء أكانوا غربيين أم شرقيين من طالبي الشهادات العليا من العرب والمسلمين... وفي هذا المجال استطاع المستشرقون بدءاً من القرن التاسع عشر، وضع الفكر العربي الإسلامي تحت المجهر لقولبته من جديد، وتكييفه وفقاً للأهداف الاستشراقية المسبقة. وإلى جانب هذا الميدان الأساس، امتدَّ نشاط المستشرقين إلى مجال المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية سواء في داخل أوروبا أم في داخل الوطن العربي والإسلامي نفسه. ومن الميادين التي اعتمدوا عليها كذلك تأليف الكتب، وإصدار الموسوعات العلمية كما

(1) علي النملة : المرجع السابق، ص : 40. وانظر ما بعدها.

(2) إدوارد سعيد : المرجع السابق، ص : 74.

اعتمدوا على إصدار المجالات العلمية اعتماداً كبيراً، ومن أبرز المجالات التي أصدروها، « المجلة الآسيوية »، ومجلة « الدراسات الشرقية »، ومجلة « شؤون الشرق الأوسط »، ومجلة « العالم الإسلامي »، الأمريكية والمجلة الفرنسية المسماة بالاسم نفسه⁽¹⁾ وسواها. وأما الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسات فإنها قد بدأت بدراسة اللغة العربية والإسلام، ثم توسعت إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وجغرافيته وتقاليدته وأشهر لغاته ولكن أهم ما اعتنوا به هو الدراسات الخاصة بالإسلام والآداب العربية والحضارة العربية والإسلامية⁽²⁾.

6- منهج المستشرقين في دراساتهم :

أما المنهج العام الذي يسير عليه أغلب المستشرقين في دراساتهم، فيتضمن عادة :

1- فصلاً مختصراً عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

2- فصلاً مختصراً عن العقيدة.

3- فصلاً عن الشريعة.

4- فصلاً عن الخلافة.

5- فصلاً عن الفرق الإسلامية.

6- فصلاً مختصراً عن الحياة العقلية.

وهذه الخطة موجودة في كثير من الكتب المؤلفة باللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، كما تنطق بذلك المجلة الآسيوية ودائرة المعارف الإسلامية، وغير هذين من الكتب المفردة⁽³⁾.

(1) د. عبد الحميد عويس : المرجع السابق، ص : 232-233.

(2) د. محمد العلوي مالكي : موقف المستشرقين من السنة بحث منشور في أعمال الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1392هـ/1972م، ص: 6، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

(3) المستشرقون والإسلام للبان، والاستشراق للسباعي، نقلاً عن د. محمد العلوي مالكي: المرجع السابق، ص: 6

ولكن معظم المستشرقين حرقوا كثيرا من النصوص وخانوا المنهج العلمي الأكاديمي، وسنعرض بعض هذه التحريفات والتزييفات فيما يستقبل من حديث.

7- الاستشراق والمستشرقون : عينات من آثارهم وأعمالهم

بعد هذا العرض السريع الموجز يمكن أن نقول إنَّ المستشرقين ينقسمون إلى قسمين : المنصفون والمتعصبون.

أ- المنصفون⁽¹⁾ : وهم ينقسمون أيضا إلى قسمين :

القسم الأول : جماعة اشتهروا بالإنصاف في الأوساط العلمية، وظهروا أنهم أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانهم وثقافتهم ولغاتهم وأنهم متحررون تمام في بحوثهم العلمية من أثر العواطف الدينية، فكتبوا عن العروبة والإسلام وأظهروهما في ثوب نظيف على جسدٍ وسخ، فهم من منافقي المستشرقين وهم كثر.

وأما القسم الثاني : فجماعة لهم أهداف علمية خالصة لا يُقصد منها إلا البحث العلمي والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلوهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جدًّا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إمَّا لجهلهم لأساليب اللغة العربية، وإمَّا لجهلهم بالأجواء التاريخية على حقيقتها... وهؤلاء سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم، ولكنهم كثيرًا ما يتهمهم غيرهم من المستشرقين بالانحراف العلمي أو الانسياق وراء العاطفة أو الرغبة في مجاملة العرب والمسلمين والتقرب إليهم⁽²⁾، كما

(1) الإنصاف والنصفة هو الوقوف في نصف الطريق، أي : بين التحامل والثناء، بين القدح والمدح، بمعنى التزام الحد الوسط بين الإفراط والتفريط. (أنظر : محمد مغلي : المرجع السابق، ص : 387).

(2) د.محمد علي مكي : موقف المستشرقين من السنة، محاضرات الملتقى السادس للتعرق على الفكر الإسلامي، المنعقد بالجزائر في سنة 1392 هـ/1972 م، ص : 19.

بونة للبحوث والدراسات العدد: الثالث جمادى الأولى 1426 هـ / حزيران (يونيو) 2005م

فعلوا مع السيدة (ماري شيمل) عندما رُشّحت لاستلام جائزة الصلح للناشرين الألمان عام 1995 م بدأت بعض الدوائر الصهيونية المناوئة للعروبة والإسلام في ألمانيا بانتقاد موقفها من سلمان رشدي⁽¹⁾ الكاتب الذي أهان الإسلام والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، في كتابه آيات شيطانية، لقد صرحت شيمل حينها : « بنظري أنّ الكاتب الذي يتجاسرُ على النبي، وسلمان رشدي يعرف جيداً ما هو الشأن المقدس للنبي عند المسلمين، فإنّه قطعاً قد أهان وتجاسر على مقدسات الإسلام... وإنّني سأنتقد هذا الموقف حتى الموت »⁽²⁾. وكذلك حدث الشيء نفسه مع (توماس أرنولد)، حين أنصف المسلمين في كتابه المشهور « الدعوة إلى الإسلام »، فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم. هذا الكتاب يُعدُّ من أدق وأوثق المراجع الحديثة في تاريخ التسامح الديني في الإسلام، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون والمشهورون بالإنصاف (المنافقون) وخاصة الجواسيس بأنّ مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين مع أنّه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها⁽³⁾.

بعض المنصفين من المستشرقين :

لا شك بأنّ الاستشراق قام على خدمة الغرب للتعرف على الحياة الشرقية وحياة المسلمين، كما أسلفنا، ومع كلّ هذه الدوافع الاستعمارية، فقد تحرر بعض هؤلاء من ربكة السياسة، وكتبوا عن العروبة والإسلام ما أملت عليه وقائع التقدم.

(1) السيدة شيمل اتخذت موقفاً مخالفاً لسلمان رشدي بسبب كتابه آيات شيطانية، وكذلك أعلنت أنها ليست مع الفتوى الصادرة بإهدار دم سلمان رشدي (انظر صادق العبادي مجلة الفيصل، العدد 322، 1424 هـ، ص : 119).

(2) صادق العبادي : المرجع نفسه، ص : 119.

(3) صادق العبادي : المرجع السابق، ص : 116.

ومن الذين انصفوا العرب والإسلام :

أنا ماري شيميل (ANNEMARIE SCHIMMEL) (1922/2003) السالفة الذكر، فقد شهد بفضلها الشرقيون والغربيون، ولدت عام 1922 م، وكان هذا اليوم يوما مباركا وميمونا للاستشراق والمستشرقين كما تقول هي عن ذلك، كان كله عطاء للشرق العربي الإسلامي، لقد كانت شيميل تهتم في دراساتها بنقد أعمال المستشرقين وتقويمها، وقبل ذلك كانت تهتم بالتصوف والمتصوفين، والعلاقة الشديدة بالشعر والأدب خصوصا جلال الدين الرومي، والاهتمام بالأدب الإسلامية كالعربية والفارسية والتركية. وقد كانت السيدة شيميل لها علاقة خاصة بالقرآن الكريم، لأنها كانت تؤمن بأن المنبع الأصيل لفهم الإسلام هو القرآن الكريم، لذلك فإنها كانت تحب القرآن حباً جمّاً، وقد حفظت قسما منه، وكانت قد ترددت أنباء عن إسلام شيميل، غير أنها لم تشهر إسلامها حتى وفاتها. ويصفها المفكر الإسلامي عبد الحليم خفاجي بـ « مؤمنة آل فرعون »، « ومن شدة اعتقادها بالقرآن وعمق رؤيتها فإنها افتتحت كل فصل من فصول كتابها (الشمس المنتصرة – The Triumphal Sun) عن أفكار جلال الدين الرومي بآية من آيات القرآن الكريم حسب سياق موضوع كل فصل »⁽¹⁾، ولها كتاب آخر بعنوان : « محمد نبي الله أو الرسول في الإسلام »، وعلى الرغم من أن السيدة شيميل تقاعدت عن العمل في عام 1982 م إلا أنها لم تترك البحث والدراسة والكتابة حتى آخر لحظة من حياتها عندما وافاها الأجل في بون في كانون الثاني عام 2003 عن عمر يناهز الثمانين عاما كان كُله عطاء وخدمة للشرق العربي الإسلامي⁽²⁾.

ومن الذين انصفوا العرب والإسلام أيضا :

المستشركة الألمانية (زيغريد هونكه) صاحبة كتاب : شمس العرب تسطع على

(1) صادق العبادي: المرجع السابق، ص : 116.

(2) د. خالد شوكات : الإسلام أو لاين (موقع في شبكة الانترنت).

بونة للبحوث والدراسات العدد: الثالث جمادى الأولى 1426هـ / حزيران (يونيو) 2005م

الغرب أو أثر الحضارة العربية في أوروبا، وهو كتاب علمي أكاديمي ألفته الدكتورة زيغريد خلال عدة سنوات، تحدثت فيه عن الحضارة العربية والإسلامية وأثرها في تطوير حضارة الغرب في العلوم والفنون والآداب، وقد كان لظهور كتابها هذا « حدث كبير في ألمانى وأوروبا، علقت عليه مئات الصحف والمجلات، بدليل أن نقاد أوروبا لم يهتموا بشيء في ذلك العام، اهتمامهم بهذا الكتاب، فهاجم عشرات منهم المؤلف والكتاب معاً، واتهموها بالتعصب للعرب والتحيز لهم. بيد أن أصدقاء العرب في كل مكان انبروا يفتنون مزاعم هؤلاء ويردون على افتراءهم، فشهد الكتاب في عامه الأول معركة حامية الوطيس لم يعرفها كتاب غيره في ألمانى في السنوات الأخيرة وبهذا لاقى الكتاب، وسط هذه الضجة، نجاحاً منقطع النظير، فأعيد طبعه، وترجم إلى عددٍ من اللغات الأجنبية، كما رحبت به الصحافة العربية ترحيباً بالغاً»⁽¹⁾. وللدكتورة زيغريد هونكه مؤلفات أخرى عن الحضارة العربية منها :

1- الرجل والمرأة، وهو كتاب تاريخي، أكدت فيه الكاتبة كما فعلت في

كتبها كلها التي تتالت، فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة،
والحضارة الإنسانية عامة⁽²⁾.

2- أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية⁽³⁾.

وقد سئلت الدكتورة زيغريد هونكه في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1392 هـ/ 1972 م عن هدفها الأساس من تأليف كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) فأجابت :

لقد كتبتُ هذا الكتاب لأظهر للألمان والغربيين أن العرب قد قدّموا مساهمة هامة

(1) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، ص : 8، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(2) المرجع نفسه، ص : 7.

(3) المرجع نفسه، ص : 7.

للحضارة والثقافة الغربية، وأردت فيه أيضا أن أعيد الحق إلى نصابه لأن الرأي العام عندنا يعتبر مساهمة اليونان والرومان كأساس لحضارته، وأردت كذلك أن أبرز بأن العرب لم يكونوا فقط حاملتي الحضارات القديمة مثلما تعلمنا ذلك، ولم يكونوا همجيين، وإنما كانوا ذوي حضارة، كما أنهم أنجزوا أشياء كثيرة، وقاموا باختراعات وقدموا مساعدات إلى العالم الأوروبي، ولقد أعجبت أيما إعجاب عندما لاحظت الإقبال الكبير في البلدان العربية على كتبي واعتبار هذه البلدان بأن مؤلفاتي قد ألقت أضواء جديدة على الحضارة العربية الإسلامية، ولقد عبر لي الكثير عن ذلك ووصفوا كتبي كمحاولة تدفع العرب إلى استرجاع شخصيتهم وتبرز ماضيهم المجيد⁽¹⁾.

ونذكر من بين المنصفين أيضا :

كارل بروكلمان (1865/1956 م) المستشرق الألماني، وهو عالم بتاريخ الأدب العربي، وصنف بالألمانية كتابه المشهور تاريخ الأدب العربي، وقد ترجم إلى اللغة العربية، وهو كتاب قيم عُدّ فيه أسماء الأدباء العرب من كتاب وشعراء وعلماء وفلاسفة، وغيرهم، على نمط كتب الطبقات والتراجم، وهو يذكر أسماء المصنفات والمؤلفات العربية في مختلف فروع العلوم والمعارف والآداب على أسلوب فهرست ابن النديم وكشف الطنون لحاجي خليفة وغيرهما من معاجم الكتب وفهارس المكتبات، ولبروكلمان كتب أخرى، منها : تاريخ الشعوب الإسلامية، وكتاب في نحو اللغة العربية بالألمانية ومعجم للغة السريالية، وغيرها. وقد ألقى بروكلمان نظرة الفاحص الخبير على الأدب العربي في مختلف أزمنته وأمكنته. ويعد كتابه تاريخ الأدب العربي من أهم الكتب التي تساعد الطلاب الباحثين على معرفة أماكن المصادر والمراجع التي تهتم بأبحاثهم. ولكن بروكلمان قد أخطأ كثيرا في كتابه هذا، وقد ذكر بعض هذه الأخطاء مولود قاسم وزير

(1) محاضرات وتعليقات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1392هـ/1972م،

مج4، ص : 428.

بونة للبحوث والدراسات العدد: الثالث جمادى الأولى 1426هـ / حزيران (يونيو) 2005م

التعليم الاصيل والشؤون الدينية الجزائري الأسبق في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1392 هـ / 1972 م⁽¹⁾.

ومن هؤلاء المنصفين من يؤدي بهم البحث العلمي الخالص إلى اكتشاف حقيقة الإسلام فينقلبون إليه مسرورين ويدافعون عنه في أوساط أقوامهم الغربيين. ومنهم المستشرق الفرنسي الفنان (إتيان دينيه ETIENNE DINET) (1861/1929 م) الذي عاش في بلدة بوسعادة بالجزائر فأعجبَ بالإسلام وأعلن إسلامه وسمّى نفسه «ناصر الدين». له تصانيف عن الإسلام بالفرنسية، منها محمد (Mohamed) صلى الله عليه وسلم، في السيرة النبوية، وقد ساعده في تأليفه العالم الجزائري سليمان بن إبراهيم، وله كتاب اشعة خاصة بنور الإسلام بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وقد توفي هذا المستشرق في فرنسا ونقل جثمانه إلى الجزائر بوصية منه ودفن فيها⁽²⁾.

ومنهم : يوهان.ج. رايسكه (REISKE) (1716 / 1774 م) ذلك العصامي الألماني الذي كان ثمن تفانيه في دراسة الأدب والتاريخ العربيين أن تعرض لاضطهاد فكري وعلمي من المتعصبين الذين ليست لدراستهم قيمة علمية⁽³⁾.

وفي الجملة فإن معظم المستشرقين الألمان لم يخضعوا لغايات سياسية ودينية واستعمارية بسبب عدم تورط ألمانيا بالاستعمار، وقد تميّز الاستشراق الألماني بالدراسات

(1) المرجع نفسه، مج3، ص : 165 وما بعدها. وانظر كتاب كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر. من هذه الأخطاء التي ذكرها مولود قاسم رحمه الله، عندما سمى بروكلمان دول المغرب العربي بدول القراصنة. وكذلك استعماله لكلمة (Barbaresques) في غير معناها. وغيرها من الأخطاء الكثيرة...

(2) الزركلي : الأعلام، مج1، ص : 83، دار العلم للملايين، بيروت ومحاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، مج4، ص : 20.

(3) محمد مغلي : المرجع السابق، ص : 394.

الشرقية القديمة، والاهتمام بالآثار والآداب والفنون، وهذا النوع من الدراسات عادة يكون خاليا من الأغراض السياسية، وكذلك غلب على الاستشراق الألماني الروح العلمية، والموضوعية والتجرد والإنصاف، ومرد ذلك إلى خصال الألمان المجبولة على الدقة والصبر والمنهج العلمي الصارم⁽¹⁾.

ب- المتعصبون، وهم، الغالبية، أكثرهم جواسيس اشتغلوا بالاستشراق، وهؤلاء ليست لدراساتهم قيمة علمية. فللاستشراق دور لا يُرتابُ فيه في تمهيد الأرض العربية والإسلامية للاستعمار الغربي، ولكن ليس كل مستشرق ضالعا في ذلك. فكلنا نعلم كيف نشأ الاستشراق.

نعلم كلنا أن بيسمارك (BISMARCK) هو الذي أنشأ مدرسة اللغات الشرقية في ألمانيا وألحقها بوزارة الخارجية، ولم يلحقها بوزارة المعارف، ولم يلحقها بكلية الآداب ولا بالجامعة، وإنما ألحقها بوزارة الخارجية، لماذا ؟ لأغراض سياسية طبعا، لأغراض سياسية واضحة، ولنشر النفوذ، وكذلك ينبغي أن يقال لأعمال الجوسسة أيضا، وكذلك في فرنسا فمدرسة اللغات الشرقية في باريس، كيف نشأت لم تلحق بالسوربون ولم تلحق بالجامعة، وإنما ألحقت بالكيدورسي (Quai d'orsay)، ألحقت بوزارة الشؤون الخارجية، وماسينيون (Massignon) المستشرق الفرنسي المعروف كان من كبارها، وكان جاسوسا في الشرق، وينبغي أن نعرف ذلك جيدا، لقد بذل ماسينيون وكثير من أمثاله جهودا كبيرة لتخريب العقل العربي والإسلامي، وتويمه عن طريق تمجيد التصوف الكاذب، وإشاعة الخرافات والأباطيل وإبراز دور الحلاج والرقاصين وال دراويش على نحو ما نراه في مؤلفاته⁽²⁾. لقد خصص ماسينيون حياته للكتابة عن الحلاج، فجعله صورة

(1) صادق العبادي : المرجع السابق، ص : 117. وانظر أيضا : ساسي سالم الحاج : نقد الخطاب الاستشراقي (فصل خصائص الدراسات الاستشراقية في ألمانيا، دار المدار الإسلامي، طرابلس).

(2) مولود قاسم (وزير الشؤون الدينية في الجزائر سابقا) تعقيب وتوضيحات على محاضرة الدكتور عبد الله العروي الموسومة : الثقافة الإسلامية في مرآة الغرب، محاضرات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1392 هـ/1972 م، ص : 166.

بونة للبحوث والدراسات العدد: الثالث جمادى الأولى 1426 هـ / حزيران (يونيو) 2005م مشوهة، ويبدو « أن (ماسينيون)، ما كان يُعنى بالحلاج قدر عنايته بتنفيذ مخطط استعماري أحكم صنعه، فقد ملأ كتابه الضخم عن الحلاج بحشد هائل من الخرافات والترهات والأباطيل، حتى يعمق الهوة بين طائفتين توجدان بالجزائر : طائفة تتمسك بالقديم، فتتساق حسب ظنه إلى اعتقاد أن هذه الخرافات والهذيان هي صميم الإسلام، وطائفة مثقفة بالثقافة الحديثة تتجه في اعتقاده، من جانبها إلى السخرية والزراية بهذا الإسلام الخرافي بل من الإسلام كله »⁽¹⁾. ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن (لويس ماسينيون هذا) « كان مستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون الشمال الإفريقي والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى »⁽²⁾. وقد استطاع هذا المستشرق وأمثاله أن يعيشوا في عقول الناس فسادا وإفسادا، وأن يؤثروا في بعض ضعاف العقول من (الطريقين) في الجزائر الذين أصبحوا يرددون خرافات هؤلاء المستشرقين، ويقولون : « اعتقد ولا تنتقد »، أي : لا تنتقد فرنسا، وأن الله هو الذي جاء بها إلى الجزائر، وهو الذي سيخرجها متى شاء... ولكن عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، حاربهم بفكره النير من خلال جريدة « المنقذ »، التي أصدرها خصيصا للرد على هؤلاء الطريقين والمتصوفيين الذين ساروا في هذا الاتجاه الاستعماري الخبيث.

ومثله المستشرق الفرنسي أيضا دي ساسي (1858 / 1892 م) الذي كان يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ عام 1805 م. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر سنة 1830 م، كان « دي ساسي »، هو الذي ترجم البيان الموجه للشعب الجزائري، وكان يستشار بانتظام في كثير من المسائل المتعلقة بالشرق من قبل

(1) د.محمود قاسم : الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ص : 7. وانظر أيضا، ص : 35 وما بعدها.

(2) د.محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص : 556.

وزارة الخارجية ووزارة الحربية⁽¹⁾. وكان له ولغيره من المستشرقين ارتباط وثيق بالاستعمار واحتلال الدول العربية والإسلامية، فقد ظهر ذلك جليا في احتلال الجزائر، عندما مهدت فرنسا الاستعمارية لاحتلالها سنة 1830 م بعدة دراسات لمستشرقين فرنسيين، فقد أرسلت فرنسا بعثة علمية مختصة في الآثار والحفريات (في الظاهر) وجواسيس (في الباطن)، بقيت هذه البعثة نحو عشرين سنة في الجزائر، تحولت فيها من مجرد دراسة حفريات وآثار إلى دراسة عقلانية منظمة. وقبل ذلك كانت قد تطورت فكرة علماء الحملة الفرنسية على مصر إلى مستشرقين لدراسة العالم العربي والإسلامي، فقامت عدة دراسات على الشعوب العربية والإسلامية، وكان في طليعة هؤلاء المستشرقين إدوارد لين الذي ألف كتابا عن عادات الشعب المصري وخصائصه.

أما ليون روش (LEON Roche) تلميذ دي ساسي فقد أعدّ « مشروع إستصدار فتوى من علماء الإسلام تمكن فرنسا المستعمرة الغازية من البقاء والاستقرار في الجزائر هادئة البال، وذلك بإخماد حركة الجهاد ضدها أيام المقاومة الشعبية التي كان يقودها الأمير عبد القادر الجزائري. وكان نص الفتوى التي باركها الحكام في فرنسا وشجعوها : "إذا دافع المسلم عن بلده أو تغلب عليها النصارى فيها ولكنهم أباحوا له شؤون دينه واحترموا نساءه ومساجده، وهو يرجو أن يتحرّر من غلبتهم عليه ذات يوم، هل يجب عليه الجهاد أو يسقط ؟ وقد حصل روش باستعماله كل وسائل الترغيب والترهيب على الموافقة على هذه الفتوى من الحجاز والأزهر والقيروان" »⁽²⁾.

ونبقى مع أعمال المستشرقين الفرنسيين المحترفين على وجه الخصوص، ونشير إلى دراسات « ليفي بروفنسال » (1894 / 1956 م) عن الأندلس، والتي تبرز فيها

(1) علي النملة : المرجع السابق، ص : 68.

(2) انظر مقالة أبي القاسم سعد الله في مجلة المنهل السعودية العدد 534، شهر أوت 1996 م، نقلا عن الدكتور عبد الكريم بكرى : صورة الإسلام في الفكر الاستشراقي القديم والحديث، مقال منشور في مجلة المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، العدد الأول، سنة 1998 م، ص : 146.

بونة للبحوث والدراسات العدد: الثالث جمادى الأولى 1426 هـ / حزيران (يونيو) 2005م

الروح الاستعمارية، وخاصة في مجال الصراع القبلي بين العرب والبربر⁽¹⁾.
ومن أراد دليل آخر فلينظر في أعمال المستشرق الفرنسي «ارنست رينان»
(1823 / 1892 م)، الذي كان يعمل مخططاً للاستعمار الفرنسي⁽²⁾.
الهولنديون، هم أيضاً ولجوا عالم الاستشراق المحترف المسيء إلى الاستشراق
كدراسة علمية أو كمقابة موضوعية كالفرنسيين.

ومن أعلام الاستشراق الهولندي في القرن السابع عشر نذكر على الخصوص
«يعقوب خوليوس» (Golius) (1596 / 1667 م)، الذي عمل أستاذ اللغة العربية
ومادة الرياضيات وأنشأ فيما بعد أول مرصد فلكي هولندي في ليدن عام 1633 م. وقد
لعب خوليوس دوراً بارزاً في اقتناء مخطوطات كثيرة باللغة العربية أغنى بها مكتبة
جامعة ليدن، ولكن أخطر ما انتصف به المستشرق خوليوس، على غرار معظم
المستشرقين الهولنديين، هو كراهيته للعرب والمسلمين والإسلام على وجه الخصوص،
الذي أحدث في رأيه جراحاً عميقة إذا تركناها ستعدي جزءاً كبيراً من البشرية⁽³⁾.

فذلكة :

وأخيراً، ليس الاستشراق كله سيئاً، وليس كله حسناً، وعلينا دراسة التيارات
المختلفة، وتشجيع المحاييد والمتعاطف والمخلص، ولا نقف أمامهم باستفزاز وعصبية
وإنما احتواء هؤلاء بالطيب من كل شيء، لأن رد الفعل سيكون أكثر استفزازاً⁽⁴⁾.

(1) علي النملة : المرجع السابق، ص : 70. وليفي بروفنسال : مستشرق فرنسي ولد في الجزائر، له آثار كثيرة
تركزت في مجملها على الأندلس.

(2) انظر إدوارد سعيد : الاستشراق، ص : 70 و 73. وله أعمال في السامية ويعد من الفلاسفة.

(3) الدراسات العربية في هولندا، ص : 17. نقلاً عن إسماعيل العثماني : قراءة في الاستشراق الهولندي، مقال
منشور في مجلة المشكاة المغربية، العدد 29، 1419 هـ/ 1998 م، ص : 26 - 27.

(4) يوسف عز الدين : الاستشراق وبواعثه وما له وما عليه، مجلة المشكاة المغربية، العدد 29، 1998 م،
ص : 17.

أمّا النتيجة الحاسمة التي يقررها المفكر الجزائري مالك بن نبي بعد التحليل المتأنّي والشواهد المختلفة التي قدمها في كتابه : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، فهي : أن الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه، كان شرّاً على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان، سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا الحاضر، وغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا. وفي صورة التفنيد والإقلال من شأننا، بحث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحدين... وعلى كل حال، فإن أمكننا أن نصرح بأننا تجد على كل وجه، جانباً إيجابياً في هذا الاستشراق فإننا لا نجده في صورة المديح، بل في صورة التفنيد⁽¹⁾.

أمّا الدكتور أكرم ضياء العمري، فيؤكد في كتابه موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية « أن الاستشراق حقق كثيراً من أغراضه لكنه لم يستنفد تلك الأغراض، لذلك هو يواصل التأليف ويواصل الحوار في الندوات والاجتماعات الإقليمية والاجتماعات الدولية، وهو ماض بمؤسساته الضخمة وإمكانات نشره الهائلة، يصدر دورياته الثلاثمائة التي تتناول المسلمين من شتى النواحي، وإذا كان الأمر كذلك فما العمل ؟
العمل يتلخص في جانبين :

الأول : أن نمثل أنفسنا أمام أنفسنا، بأن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية، والتاريخية، والعقدية لأمة الإسلام دون أن نخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون، فهذا جانب مهم وأولي، وهو أحرى بالاهتمام لأن فيه تحصيناً للأمة.

(1) مالك بن نبي : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص : 17. نقلا عن محمد مغلي : المرجع السابق، ص : 418 - 419.

بونة للبحوث والدراسات العدد: الثالث جمادى الأولى 1426هـ /حزيران (يونيو) 2005م

والثاني : يتحقق إذا بلغنا المستوى المناسب من تهيئة أصحاب الخبرات فنقوم عندئذ بتمثيل أنفسنا أمام الآخرين «⁽¹⁾.

ذلك هو الموقف الذي لا بد من تبنيه في مواجهة هذا الجزء من قضية الصراع الحضاري، وسوف بتحقق هذا الهدف إذا شجعنا البحث العلمي في البلاد العربية والإسلامية بالوسائل المادية والمعنوية.

(1) المرجع السابق، ص : 47.